مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2023 المجلد: 06 العدد: 02 ص.ص: 946-963

المماليك ودورهم في تصفية الشرق من الصليبيين (648-923هـ/1250-1517م)

The Mamluks and their role in liquidating the East from the Crusaders(648-923 AH / 1250-1517 AD)

صبرين فنير [1]*، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، f.sabrine1989@gmail.com

فاطمة بوعمامة [2]، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، bouamamafatma@outlook.fr

تاريخ إرسال المقال: 10-08-2023 تاريخ قبول المقال: 04-11-2023

الملخص:

بعد سقوط الدولة الأيوبية سنة 648هـ/1260م ومقتل ثوران شاه في مصر، لم تظل الأمور على حالها وكان لابد من ملء الفراغ في سدة الحكم الذي ترك المجال أمام ظهور المماليك الذين امتد نفوذهم في عهد السلطان نجم الدين أيوب، ظهر على مسرح الأحداث قادة كان لهم الدور الأكبر في بروز دولة المماليك في مصر والشام وكانت لهم الكلمة في القضاء على الصليبيين الذين بسطوا نفوذهم في المنطقة وتوغلوا خاصة مع اشتداد حمالاتهم الصليبية إبان العصور الوسطى.

وقد استطاع المماليك بفضل حنكتهم وخبرتهم العسكرية في تخليص المدن الساحلية في المشرق الإسلامي مصر والشام من الوجود الصليبي الذي كان متجذرا في المنطقة لعدة عقود من الزمن.

الكلمات المفتاحية: الدولة الأيوبية، دولة المماليك، المماليك البرجية، الإمارات الصليبية.

Abstract:

After the fall of the Ayyubid state in the year 648 AH / 1260 AD and the killing of Thawran Shah in Egypt, things did not remain as they were, and it was necessary to fill the void in the reign that left the way for the emergence of the Mamluks, whose influence extended during the reign of Sultan Najm al-Din Ayyub. Leaders appeared on the scene who had The biggest role in the emergence of the Mamluk state in Egypt and the Levant, and they had the word in eliminating the Crusaders, who extended their influence in the region and penetrated, especially with the intensification of their crusades during the Middle Ages.

The Mamluks were able, thanks to their sophistication and military experience, to rid the coastal cities of the Islamic East, Egypt and the Levant,

* صبرين فنير

from the Crusader presence that had been rooted in the region for several decades.

Key words :the Ayyubid state, the Mamluk state, the Burji Mamluks, the Crusader emirates.

مقدمة:

كان المشرق الإسلامي بالخصوص مصر والشام محل استقطاب من طرف الغرب المسيحي الذي شن عليه حملات صليبية طيلة العصور الوسطى، ما أدى بالكيانات السياسية القائمة هناك إلى مجابهة هذا التدخل الأجنبي فكانت الدولة الأيوبية حاملة راية الدفاع عن الدين الإسلامي، ثم دولة المماليك التي تعتبر موضوع دراستنا الذي يتمثل في المماليك ودورهم في تصفية الشرق من الصليبيين (648-923هـ/1250-1517م)

و**الهدف من الدراسة** هو معرفة مدى تصدي دولة المماليك للخطر الصليبي المحدق بالعالم الإسلامي في فترة الدراسة.

الإشكالية تمثلت في: كيف نشأت دولة المماليك؟ وما هو الدور الذي قام به سلاطينها ضد الخطر الصليبي الذي كان يهدد العالم الإسلامي؟

المنهج المتبع في هذه الدراسة: المنهج الاسترادي الذي اعتمدنا عليه في استرجاع سيرورة الأحداث، والمنهج التاريخي الملائم لهدا الموضوع.

المبحث الأول: سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك

بعد سقوط الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي قامت الدولة الأيوبية التي استشرى الفساد في آخر حياتها، نتناول في هذا المبحث سقوط الدولة الأيوبية التي كانت ايذانا بقيام دولة المماليك في مصر ثم الشام فيما بعد.

المطلب الأول: سقوط الدولة الأيوبية

في الفترة الأخيرة من حكم دولة الأيوبيين حدث صراع بين أمراء الدولة الأيوبية وهذا ما أدى إلى إضعاف الدولة فضلا عن النزاع بين الأمراء الأيوبيين والأسر الأخرى القريبة منها مثل آل زنكي وغيرهم[1]، وهذه الظروف أغرت القوى الفرنجية الصليبية للتدخل لصالح فريق ضد فريق آخر، وقد تجمعت القوى الأيوبية المتناثرة في البلاد على حلف يائس مع الصليبيين ضد السلطان نجم الدين أيوب سلطان

[1] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 20.

مصر وكبير الأيوبيين[1]، ولقد انضم الملك " الصالح إسماعيل" حاكم دمشق والملك "الناصر داوود" حاكم الكرك، والملك " المنصور إبراهيم" حاكم حمص إلى الصليبيين في تحالف غريب ضد الصالح نجم الدين أيوب، وقد وعدوا الفرنج بأن يملكوهم جزءا من مصر عندما يتمكن هذا الحلف من هزيمة الصالح أيوب، وبذلك فقد دخل هذا الأخير في مواجهة أقاربه بالسلاح، وقد تمكن من فك التحالف سنة505هـ/1244م، في معركة غزة وبعدها انقلب عليه الخوارزمية[2]، ولم يجد للصالح أيوب سوى طريقة الإكثار من شراء المماليك ليكونوا سندا له في الصراعات الداخلية الدائرة[3].

وهذا ما مهد السبيل لظهورهم كقوة عسكرية ثم سياسية في المنطقة[4].

ويظهر ذلك من خلال مشاركتهم في الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع الذي فرض سلطته على المنطقة[5]، لكن المسلمين قد تمكنوا من تحقيق النصر في موقعة المنصورة وهذا ما مهد لظهور دولة سلاطين المماليك خاصة بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب في هذه المعركة[6]، وبعد هذا تولت شجرة الدر[7] زمام الأمور وذلك بعد إخفاء وفاة زوجها (نجم الدين)، وبقدوم توران شاه (ابن زوجها) الذي قام بالتخلص من كل منافس له [8]، وهذا ما أثار مخاوف كثيرة لدى زوجة أبيه شجرة الدر والمماليك ولذلك أجمعوا على قتله[9]، وكان ذلك في سنة 648هـ/1250م[10].

---

[1] أحمد حطيط، قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري (648- 923هـ / 1250- 1517م)، ط1، الفرات للنشر والتوزيع، 2003، ص 126.

[2] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2001، ص 140.

[3] المرجع السابق، ص 126.

[4] علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط1، الدار الإسلامية للنشر والتوزيع، 1993، ص 280.

[5] مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص91.

[6] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 146.

[7] هي الملكة عصمة الدين أم خليل، تركية الجنس، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب وعتقها وتزوجها وأنجبت منه ابنا اسمه خليل، توفي وهو صغير، وقد كانت جارية لدى المستعصم العباسي، ولذلك فإنها من ناحية الأصل والنشأة أقرب إلى المماليك، عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2003، ص 237.

[8] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، المرجع السابق، ص 21.

[9] حيث تم تنفيذ المؤامرة بأيدي ثلاثة من كبار أمراء المماليك منهم الأمير ركن الدين بيرس البندقداري، الأمير قلاوون الصالحي، والأمير أقطاي، حيث أن الأول قطع أصابع يده بعد أن أنهى طعامه، ثم لحقه الثاني ورمى نفسه في المغضة فانقض عليه الثالث وقتله، قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 149.

[10] عبد العظيم رمضان، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1993، ص 396.

وقبل أن يرحل لويس التاسع عن مصر كان توران شاه قد قتل من طرف المماليك[1]، وبوفاة توران شاه انتهت الدولة الأيوبية فعليا في مصر في عام 648هـ/1250م [2]، بعد مدة حكم دامت إحدى وثمانين وثمانين سنة[3].

وبذلك يمكن القول بأن المماليك استغلوا الأخطار التي كانت تعاني منها الدولة الأيوبية من مختلف النواحي، ولذلك فقد بدؤوا في بناء دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال ما سيأتي.

المطلب الثاني: نشأة دولة المماليك

المماليك هو جمع مفرده مملوك[4]، الذي يعني العبودية والرق، لأن المملوك ملكية خاصة لشخص آخر[5]، والمماليك في الأصل هم عبارة عن أرقاء يشترون ويدربون على خدمة السلطان[6]. وموطنهم الأصلي بلاد القبجاق في حد من نهر الفولغا شمال البحر الأسود وفي القوقاز، حيث تعيش قبائل مختلفة من الأتراك والروس والمجر والآن[7]، وتعتبر عادة شراء المماليك عادة ظهرت قبل العهد الأيوبي حيث أن خلفاء بغداد كانوا منذ أجيال عدة يعملون على جلب الألوف من العبيد من قبائل التركمان والمغول، ويستخدمونهم حرسا لهم وجنودا في جيشهم [8]، ليزداد عدد المماليك بصفة أكبر في عهد الأيوبيين خاصة في فترة حكم السلطان الصالح نجم الدين أيوب[9]، ذلك أنه أكثر من شراء المماليك وجعل معظمهم عساكر عساكر لخدمته، كما أنه قبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه واعتقلهم وقطع أخبارهم[10].

---

[1] مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 92.

[2] سوزي حمود، الفاطميون والزنكيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 2010، ص 73.

[3] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 396.

[4] هو عبارة عن مصطلح كان يطلق على فئة من العبيد، كان الأمراء والسلاطين وكذا الخلفاء يشترونهم لتكوين فرق خاصة في الجيش، عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 226.

[5] حسان حلاق، عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1999، ص 210.

[6] علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 280.

[7] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 73.

[8] وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، تر: محمود عابدين، سليم حسن، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 1995، ص 38. 38.

[9] قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، دار الشروق، مصر 1994، ص 67.

[10] المقريزي تقي الدين أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، ج1، مصر، 1957، ص 339.

ويمكن القول أن المماليك في بداية تواجدهم في مصر والشام كانوا يتصفون بالوقاحة وشراسة الأخلاق[1] لكن السلطان كان يرسلهم إلى من يعلمهم اللغة العربية ولقنهم مبادئ الدين الإسلامي ثم يعهد بهم إلى من يتولى تدريبهم فنون القتال والفروسية، بحيث يحققون قدرا عاليا من الكفاءة الحربية[2] وهذا ما جعل بعضهم يبرعون في كثير من المجالات ويظهرون إخلاصا كبيرا مما جعلهم يتولون مناصب رفيعة في السلطة فلقد وصل بعضهم إلى مناصب قيادية وكثير منهم كان ينال الحرية من السلطان أو من مخدومه [3]. ومثال ذلك هو وصول شجرة الدر التي تحدثنا عنها فيما سبق إلى السلطة بعد وفاة "توران شاه"، حيث تعتبر أولى سلاطين المماليك في مصر، حيث قال عنها المقريزي:" أنها أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك"[4]، وبقيام شجرة الدر في الحكم سنة 648هـ/1250م بدأت دولة سلاطين المماليك في مصر، وهي الدولة التي استمرت في حكم البلاد أكثر من قرنين من الزمن أي حتى الغزو العثماني سنة 923هـ/1517م[5]، ، كان تولي شجرة الدر للحكم عقب الخلاف الذي حدث بينها وبين ابن زوجها "توران شاه" هذا الأخير الذي طلبها باسترداد أموال أبيه، ولكنها حرضت عليه المماليك الذين قاموا بقتله[6].

حيث مات ".... جريحا، حريقا، غريقا...."[7]، وحكمت شجرة الدر بعده مدة لا تزيد عن ثمانين يوما. ثم ثار عليها المصريون إذ أنهم لم يتقبلوا فكرة أن تتولى شؤونهم امرأة، وبذلك فقد وقعت مدة اضطرابات في القاهرة[8]، وهذا ما جعلهم يعملون على مراسلة الخليفة العباسي المستعصم الذي رفض بدوره حكم امرأة[9] فرد عليهم قائلا: "إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا"[10]، وبذلك فقد تنازلت شجرة الدر عن الحكم بعد ثمانين يوما فقط من حكمها وهذا تطبيقا لنصيحة المماليك بأن تتزوج من الملك الصالحي عز الدين أيبك حتى لا يضيع من يدها الحكم وكان ذلك يوم السبت سنة

[1] وليم موير، المرجع السابق، ص 39.
[2] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 153.
[3] علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 280.
[4] المقريزي تقي الدين أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ص361.
[5] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 397.
[6] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، المرجع السابق، ص 21.
[7] المقريزي تقي الدين أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ص 259.
[8] عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 239.
[9] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 75.
[10] المرجع السابق، ص 239.

648هـ/1250م[1] ، وبذلك فقد أصبح عصر المماليك من أهم العصور على الرغم من أن المماليك كانوا غرباء إلا أنهم حققوا للبلاد الشامية والمصرية السيادة والاستقلال، ودفعت مصر إلى الزعامة، وقد دام حكم المماليك من 270 سنة هجرية (648-924هـ) أو ما يقابل 267 سنة ميلادية (1250-1517م)[2].

وبذلك فيمكن القول بأن دولة المماليك نشأت عن طريق الموالي الذين تم جلبهم من الترك، وذلك بعد أن أظهروا الجدارة الكافية من أجل التحكم في البلاد والدفاع عنها من الأخطار الخارجية وهذا ما سنكتشفه لاحقا.

المطلب الثالث: أنواع المماليك وأهم ملوكهم

بعد أن وصل المماليك إلى السلطة في كل من مصر والشام انقسمت دولتهم إلى قسمين أو مملكتين هما[3]:

أ- دولة المماليك البحرية[4] (دولة المماليك الأولى): 648-784هـ/1250-1282م[5]: يعد الصالح نجم الدين أيوب هو أول من جلب هؤلاء المماليك وذلك بعد أن تبين له فساد الخوارزمية وعدم الاعتماد عليهم وتمكينا لنفسه من ولاية العهد، وقد سماهم بالمماليك البحرية[6] باعتبار أن الصالح أيوب قد بنى لهم لهم قلعة في جزيرة الروضة وأسكنهم فيها ثم اتخذها مقرا له، وهذه الجزيرة كان يحيط بها البحر (نهر النيل) لذلك سموا بالمماليك البحرية[7]، والأرجح أن هذه التسمية تعود إلى الوسيلة التي كان يتبعها تجار الرقيق في جلبهم عبر البحار من القوقاز وآسيا الوسطى حيث يعبرون البحر الأسود وبحر القلزم، البحر

[1] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 170.
[2] عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 226.
[3] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 397.
[4] معظمهم من القبجاق وبلاد القوقاز قرب قزوين، يمتازون بحسن الطلة وجمال الشكل والقوة والشجاعة، مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، المرجع السابق، ص 20.
[5] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 74.
[6] الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية، لبنان، 1967، ص 55.
[7] المقريزي تقي الدين أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ص 339.

المتوسط لينزلوا في الإسكندرية ودمياط[1]، وقد توالى على حكم المماليك البحرية حوالي 64 سلطانا أولهم وهو السلطان عز الدين أيبك[2].

فقد كان تركي الأصل والجنس، وعرف بين البحرية بالتركماني[3]، وتولى الحكم في مصر عام 648هـ/1250م، وتزوج شجرة الدر ثم سلب منها كل السلطة وعمل على اضطهادها فتآمرت عليه وقتل في عام 655هـ/1257م[4]، ومن بعده واصلت شجرة الدر في الحكم إلى غاية وفاتها انتقاما لمقتل عز الدين أيبك[5] وبعد ذلك تولى السلطان قطز[6] الحكم وقد كان لهذا الملك دور كبير في القضاء على التتار، التتار، ولكنه اغتيل من طرف الظاهر بيبرس[7] البند قداري[8]، هذا الأخير الذي كان يعرف بالقاهر منذ عام 658هـ/1260م. ثم غير لقبه إلى الظاهر عند توليه السلطة[9]، ويعتبر هو المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية[10] وقد ولد في عام 620هـ/1223م. وهو تركي الأصل اشتراه الأمير أيدكين البندقداري ثم باعه إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب[11]، وقد تولى السلطة في نفس اليوم الذي قتل فيه قطز حيث قيل: "ترحموا على الملك المظهر وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس" [12] وعند توليه السلطة قام بمجموعة من الأعمال منها تخفيفه للضرائب عن الأهالي وأعلن العفو عن السجناء[13].

[1] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 74.

[2] راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج1، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص 478.

[3] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 368.

[4] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 478.

[5] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 151.

[6] تذكر الروايات أن أصله محمود بن ممدود ابن أخت خوارزم جلال الدين خوارزم شاه، وهو مغولي رغم ادعائه للإسلام، الباز العريني، المرجع السابق، ص 56.

[7] تعني لغة الفهد، وهو لقب حمله بعض سلاطين وأمراء المماليك على رأس السلطان الظاهر بيبرس، حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 198.

[8] هو عبارة عن لفظ فارسي يعني حامل البندقية، وليم موير، المرجع السابق، ص 48. جمال عبد الهادي محمد مسعود، القضية الفلسطينية، ج1، دار الوفاء، الجزائر، 1977، ص 146.

[9] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، المرجع السابق، ص 27.

[10] قاسم عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 211.

[11] أحمد حطيط، المرجع السابق، ص250.

[12] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 437.

[13] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، المرجع السابق، ص 27.

كما أنه أضفى الشرعية على حكمه بعد سنة من توليه الحكم، وذلك بإرجاعه الخلافة العباسية إلى مكانتها من خلال جلبه لأحد الخلفاء العباسيين من سوريا إلى مصر في موكب حافل وأهداه تقاليد المملكة[1] كما أنه أدى فريضة الحج في سنة 667هـ/1268م من أجل أن يكفر عن أخطائه السابقة[2] وقد وقد كان للظاهر بيبرس دور كبير في جهاده للصليبيين الذين احتلوا المنطقة وقد توفي في عام676هـ/1277م[3]، وبعده حكمت أسرة قلاوون بداية من سيف الدين المنصور قلاوون الألفي[4] وبعد أن أن أصبح أتابكا على بدر الدين سلامش الذي كان عمره سبع سنوات فقط [5]وكان ذلك في 678هـ/1279م ومن أهم أعمال قلاوون مواصلة مسيرة الجهاد ضد الصليبيين وقد توفي قبل أن يدخل حصن عكا وذلك عام689هـ/1290م[6]، وقد أعلن عن تولي ابنه الأشرف خليل الحكم على مصر، الذي قضى على الصليبيين واستعاد بقية ثغور الشام من أيديهم[7].

ب- دولة المماليك البرجية (دولة المماليك الثانية): حكموا ما بين 784-922هـ/1382-1517م [8]وهو مصطلح أطلق في العهد المملوكي للدلالة على فرق من المماليك الجراكسة[9] التي أنشأها السلطان قلاوون[10].

حيث أن هذا الأخير اشتراهم وجعلهم في أبرج القلعة وسماهم البرجية[11]. ولم يكن الحكم وراثيا لدى الشراكسة مثل: أسرة قلاوون وإنما كان الحكم باستيلاء الأقوى[12] وقد حكم حوالي 23 ملكا أولهم الظاهر

[1] وليم موير، المرجع السابق، ص 48.
[2] علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، مكتبة الأعيان، مصر، 1999، ص 267.
[3] جمال عبد الهادي محمد مسعود ، المرجع السابق، ص 146.
[4] اشتراه الأمير علاء الدين أقسطر بألف دينار لذلك لقب بالألفي، لما توفي سيده انتقل إلى خدمة نجم الدين أيوب وأصبح لقبه العلائي، مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص 39.
[5] عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 273.
[6] مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 93.
[7] المرجع السابق، ص 274.
[8] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 397.
[9] هم عنصر قوقازي الجنس وهم قلة في الجيش المملوكي يطلق عليهم في المصادر العربية الشركس، موطنهم في بلاد القبجاق بين البحر الأسود وقزوين، الباز العريني، المرجع السابق، ص 63.
[10] حسان حلاق، عباس صباغ، المرجع السابق، ص 210.
[11] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 269.
[12] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص493.

سيف الدين برقوق[1] 784-801هـ/1382- 1399م[2] ، وذلك بعد أن خلع آخر سلاطين المماليك البحرية وتولى هو الحكم، أما آخر السلاطين فكان هو "طومان باي الثاني"[3] وبذلك فقد حكمت المماليك البرجية قرابة قرن ونصف من 1382- 1517م. إلى أن جاء العثمانيون وأزالوا نفوذهم عن مصر والشام[4]. ونجد أنه بالإضافة إلى المماليك البرجية والبحرية، فيمكن أن نصنف المماليك حسب الانتماء أو أو الولاء الشخصي، فالمماليك كانوا عادة ينسبون إلى السلطان الذي اشتراهم[5] مثل: المماليك الظاهرية نسبة إلى الظاهر بيبرس[6] ، والمماليك الأشرفية نسبة إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون[7] ، وكذلك المماليك المعزية نسبة إلى المعز أيبك والناصرية نسبة إلى الناصر محمد قلاوون[8]

وبهذا يمكن أن نختم هذا الفصل الأول الذي يفهم منه حقيقة المماليك وأصلهم وكذلك أنواع المماليك ومن ثمة سوف نتعرف على أعمالهم من خلال المبحث الثاني.

المبحث الثاني: انجازات سلاطين المماليك ضد الخطر الصليبي

لقد كان لسلاطين المماليك الدور الكبير في طرد الصليبيين من المشرق الإسلامي عن طريق حشد المسلمين، من بينهم:الظاهر بيبرس، وقلاوون، والأشرف خليل الذي قام بتصفيتهم نهائيا من المشرق.

المطلب الأول: الظاهر بيبرس وجهاده للصليبيين

عندما ثبت السلطان بيبرس ملكه في مصر أخذ يستعد للاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من حصون ومراكز الصليبيين[9]، حيث بدأ بيبرس بمهاجمة الممتلكات الصليبية باستمرار في سنة 659هـ/1261م[10] وكانت سياسته تتسم بالعنف والصرامة اتجاه الفرنج منذ وصوله إلى الحكم[11]. وقد

[1] هو المؤسس الحقيقي لدولة الجراكسة، جلبه تجار الرقيق إلى مصر حيث اشتراه الأمير يلبغة الخاصكي حوالي سنة 764 هـ/1363م، ثم أعتقه وترقى في خدمته ثم تم ترقيته إلى قائد في الجيش المملوكي ثم رقي إلى رتبة عالية في الجيش وهو أمير الجيش، المرجع السابق، ص 272.

[2] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 75.

[3] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 493.

[4] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، المرجع السابق، ص21.

[5] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 158.

[6] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 398.

[7] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، المرجع السابق، ص21.

[8] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 158.

[9] حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، دار الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1987، ص 271.

[10] الباز العريني، المرجع السابق، ص 50.

[11] قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1990، ص 131.

وضع بيبرس لنفسه برنامجا يضم محاربة الصليبيين وطردهم من الشام، وفعلا فقد بدأ في نوفمبر 659هـ/1261م بمهاجمة أنطاكية من أجل عقاب أميرها "بوهيموند السادس" على مخالفة المغول[1] وقد حاصر جيشه منطقة أنطاكية وقد أوشك على الاستيلاء عليها[2]، وبعد ذلك توجه إليها مرة ثانية في عام660هـ/1262م، وحاول أن يستولي عليها وكاد أن يكون له ذلك لولا تدخل حاكم أرمينية "هيثوم الثاني" وذلك بتحالفه مع التتار[3]، وقد تواصلت جهود بيبرس العسكرية ضد الصليبيين ففي مطلع عام 663هـ/ 1265م، دخل في عمليات حربية واسعة ضد إمارات الساحل الصليبية[4].

حيث بدأ بفتح قيسارية " قيصرية" ومدينة أرسقوف[5] بعد حصار دام مدة 6 أيام[6] وكان ذلك يوم الخميس 15 جمادى الأولى 663هـ/ 5 آذار 1265م[7] .

ثم بعد ذلك توجه بيبرس من أجل محاصرة قلعة صفد وذلك بعد عام واحد من استيلائه على قيسارية وأرسقوف، وبعد حصار دام مدة 11 يوما سقطت قلعة صفد، التي كانت تعد من أخطر قلاع الفرنج وذلك يوم الأربعاء 19 شعبان 664هـ/ 26 أيار 1268م[8]، وقد كانت الحملة الموجهة إلى صفد تحت قيادة الظاهر بيبرس نفسه وانتزعها من بين أيدي الفرنج قهرا[9] ، واستولى عليها وأسر أهلها ثم استولى على شقيف في نفس السنة[10] ، وبعد الاستيلاء على صفد ثم عقد هدنة بين بيبرس والصليبيين من أجل أن يتفرغ لجهاد المغول الذين كانوا يتربصون بالمنطقة[11] ، ونفهم شروط بيبرس في هذه الهدنة من خلال قوله: " ردوا ما أخذتموه من البلاد، فكوا أسرى المسلمين جميعهم فإني لا أقبل غير ذلك"[12] ،

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج2، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1997،200.

[2] محمد فؤاد إبراهيم، موسوعة المعرفة، مج13، شركة إنماء للنشر والتوزيع، 1985، ص 2113.

[3] علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 281.

[4] قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 131.

[5] جمال عبد الهادي محمود، المرجع السابق، ص 147.

[6] وليم موير، المرجع السابق، ص 52.

[7] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 77.

[8] مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 93.

[9] جمال عبد الهادي محمد مسعود، المرجع السابق، ص 147.

[10] علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 281.

[11] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 271.

[12] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 458.

وقد نقض بيبرس هذه الهدنة من خلال مواجهة الصليبيين مرة أخرى في حصن عكا لكنه وجده محصنا لذلك لا يتمكن من فتحه[1] .

وقد توالت هزائم الصليبيين الهزيمة تلوى الأخرى، حيث سقطت قلاع حلب والقليعات[2] وفي عام 666هـ/1278م. تفرغ بيبرس من أجل مواصلة مسيرة الجهاد ضد الفرنج[3] حيث أنه توجه إلى يافا التي قر منها الفرنج بمجرد سماعهم بقدوم بيبرس إلى هناك[4] ثم جهز خطة محكمة من أجل مواجهة أنطاكية[5]، أنطاكية[5]، حيث أنه قسم جيشه إلى ثلاث فرق إحداها اتجهت إلى ميناء السويدية لتقطع الصلة بين أنطاكية والبحر والفرقة الثانية لسد الممرات بين قيليقية والشام كمنع وصول أية مساعدة للمدينة[6].

أما القوة الرئيسية فقد كانت تحت قيادة بيبرس مهمتها هي مهاجمة المدينة[7] ، وقد أرهب بيبرس الصليبيين وحقق انتصارات كبيرة على الصليبيين في أنطاكية حيث أسر حاكمها وأسر من أهلها الكثير[8]، الكثير[8]، حيث تذكر بعض المصادر أن غنائم المسلمين في أنطاكية بلغت من الكثرة أن: " قسمت بالطاسات...، وكان الأسرى كثيرون لدرجة أنه.... لم يبق غلام إلا وله غلام.... وبيع الصغير باثنتي عشر درهما والجارية بخمسة عشر درهما..."[9] .

وكان سقوط أنطاكية في قبضة المسلمين دلالة بالغة الأهمية بوصفها أولى إمارات الصليبيين في الشام والقضاء عليها بداية انهيار حكم الفرنج[10] .

وبذلك لم يبق للصليبيين سوى عاصمتهم عكا بالإضافة إلى بعض المعاقل مثل صيد وصور، عثليث[11] وقد وجه بيبرس رسالة إلى الصليبيين يقول فيها: " إن رايتنا الصفراء، قد هزمت رايتكم الحمراء، وأن " الله أكبر" قد أسكتت نواقيس كنائسكم". [12] وبعد هذا توجه بيبرس إلى مصر حيث أنه بدأ يحضر

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 909.
[2] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 77.
[3] أحمد حطيط، المرجع السابق، ص 250.
[4] الباز العريني. المرجع السابق، ص 50.
[5] علي الحريري، المصدر السابق، ص 266.
[6] محمد فؤاد إبراهيم، المرجع السابق، ص 2113.
[7] عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 272.
[8] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 568.
[9] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 413.
[10] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 915.
[11] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 915.
[12] وليم موير، المرجع السابق، ص 56.

لرحلة الحج وعودته كانت مرتبطة بحملة لويس التاسع على تونس ثم عاد إلى الشام ليعيد انتصاراته على الفرنج[1] فاستولى على حصن الأكراد في شعبان 669هـ/1271م بعد حصار دام 15 يوما[2] ثم رحل إلى حصن عكا وتمكن من الاستيلاء عليه[3] كما أنه أرسل حملة بحرية لتغزو قبرص التي هرب إليها الفرنج لكن هذه الحملة أصيبت بالفشل بسبب ريح عاصفة هبت على السفن فتحطم بعضها وعاد الآخر دون أن يحقق أية نتيجة[4] بالإضافة إلى أن بيبرس حاول حصار عكا ولكنه قد توفي قبل أن يستسلم له هذا الحصن[5].

وبذلك يمكن القول بأن محاولة بيبرس لفك الغزو الصليبي للشام ومصر كان بداية للقضاء نهائيا على الوجود الصليبي في بلاد المسلمين، وهذا ما سوف يتحقق من خلال جهود خلفاء الظاهر بيبرس.

المطلب الثاني: مواصلة مسيرة الجهاد من طرف قلاوون

بعد ما توفي السلطان بيبرس واصل قلاوون مسيرة الجهاد ضد الصليبيين وذلك بعد أن توقف القتال مدة 14 سنة من وفاة بيبرس[6] وقد عقد السلطان قلاوون هدنة مع الصليبيين بداية من عام680هـ/1281م، وهي ما يعرف بهدنة عكا حيث طلبت منه الأميرة مرغريث هدنة مشابهة لهدنة بيبرس مع الأميرة إيزابيلا[7] ومدة هذه الهدنة عشر سنوات وذلك من أجل أن يتفرغ لترتيب أوضاع البلاد الداخلية[8] بحيث أنه تفرغ للقضاء على ثورة سنقر الأشقر في الشام وصد هجماته[9] وعندما أمن قلاوون جانب المغول اتجه نحو الصليبيين[10] بحيث أنه لم يمض على الهدنة سوى أربعة أعوام حتى شرع

[1] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 233.
[2] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 591.
[3] علي الحريري، المصدر السابق، ص 271.
[4] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 417. قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 233.
[5] علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 282.
[6] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 80 .
[7] أحمد حطيط، المرجع السابق، ص 106.
[8] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 244.
[9] محمد فؤاد إبراهيم، المرجع السابق، ص 2114.
[10] مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 93.

قلاوون في مهاجمة الصليبيين في حصن المرقب في ربيع684هـ/1285م[1] ولا يقل حصن المرقب أهمية أهمية عن قلعة صفد التي استولى عليها بيبرس فيما قبل[2] .

حيث أنه كان مضرة على المسلمين وقد استولى قلاوون عليه واستعاد كثيرا من أسرى المسلمين الذين كانوا لدى الفرنج[3] وبعد ذلك صلبت توجه قلاوون من أجل محاصرة اللاذقية[4].

وكان ذلك في عام 684هـ/1285م حيث اتجه بكل قواه إلى الشرق فأرسل حملة بقيادة الأمير حسام طرنطاي من أجل أن يستولي على اللاذقية[5] التي تعتبر آخر المعاقل التابعة للصليبيين والتي تبقت تبقت من أنطاكية[6] وقد تمكن من الاستيلاء عليها في سنة 686هـ/1289م[7].

ولم يمض على الاستيلاء على اللاذقية سوى ثلاث أشهر حتى توفي بوهيموند السابع أمير طرابلس وبذلك أصبحت طرابلس دون وريث[8] وبعد ذلك بسنتين خرج السلطان قلاوون بنفسه على رأس جيش ضخم ليحاصر طرابلس[9] وذلك بحجة أن الفرنج قد عملوا على نقض الهدنة التي عقدت معهم وبذلك فقد جهز جيشا يتكون من 40 ألف فارس ومئة ألف من المشاة، وحاصر المدينة بأدوات الحصار في مستهل ربيع الأول 688هـ/1289م[10] ، ولذلك فقد وقعت المدينة تحت سيطرته[11] وبسقوط طرابلس سقطت المدن المجاورة لها مثل: بيروت، جبلة إضافة إلى جبيل التي أعلنت عن خضوعها للسلطان قلاوون[12] وذلك بعد أن أخلاها الصليبيون فتمكن المماليك من احتلالها بسهولة[13] وقد هرب الفرنج نحو جزيرة القديس نيقولا فلحق بهم المماليك وقتلوا الفرنج وسيلوا دمهم[14] .

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 923.

[2] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 80.

[3] جمال عبد الهادي محمد مسعود، المرجع السابق، ص 150.

[4] قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 132.

[5] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 486.

[6] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 271.

[7] علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 212.

[8] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 923.

[9] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 747.

[10] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 81.

[11] محمد فؤاد إبراهيم، المرجع السابق، ص 2114.

[12] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 748.

[13] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 929.

[14] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 81.

وهدم قلاوون مدينة طرابلس القديمة وبنى على أنقاضها المدينة الجديدة[1] وبذلك لم يتبق للصليبيين سوى صور وعكا وكانت هذه الأخيرة أمعن الحصون[2] وفي سنة 689هـ/1290م اتجهت حملة إيطالية إلى عكا من أجل تحرير الصليبيين، وقد ارتكبوا جرائم عنيفة ضد المسلمين، وهذا ما أغضب السلطان قلاوون[3] وقد عكف هذا الأخير في مصر بعد ذلك على تعبئة قواته من أجل الاستيلاء على عكا[4] واستعد واستعد من أجل القضاء على كل الصليبيين الذين يتواجدون في عكا[5] رغم الصلح الذي كان بين الطرفين[6] وقد قدم هؤلاء الإيطاليون أعذارا تتمثل في كونهم جاؤوا من أجل التجارة فقط ولكن قلاوون لم يرض بأي عذر وجهز نفسه جيدا للحرب[7] وما إن انتهى من الاستعداد لغزو عكا حتى وفاه أجله سنة 689هـ/1290م[8] وبذلك فقد ترك مهمة مواصلة الجهاد إلى ابنه الأشرف خليل بن قلاوون.

المطلب الثالث: الأشرف خليل والقضاء على الوجود الصليبي

بعد موت السلطان المنصور قلاوون تولى العرش ابنه الأشرف خليل 689- 693هـ/1290-1294م ووجه همه إلى القضاء على آخر قواعد الصليبيين في الشام[9] وبذلك فقد تبدد حكم الصليبيين في في البقاء في عكا[10] هذه الأخيرة التي بمجرد استيلاء الأشرف خليل على الحكم وجه قدراته من أجل إكمال ما كان يريده والده القيام به، وهو حصار هذا الحصن[11]، حيث أن الأشرف خليل تولى بنفسه قيادة الجيش الذي تركه والده حيث أنه كان يتكون من عشرين ألف جندي تدعمها آلات الحصار، حيث استخدم 92 منجنيقا من بينها منجنيق عظيم سير على مائة عجلة سمي " المنصوري"[12] وقد زحف الأشرف خليل نحو عكا يوم الجمعة ربيع الأول 690هـ/مارس 1291م[13]. وفي طريقه إلى المنطقة اتصل

[1] عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 747.
[2] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 486.
[3] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 413.
[4] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 754.
[5] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 81.
[6] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 413.
[7] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 754.
[8] علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 212. راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 486.
[9] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 271.
[10] محمد فؤاد إبراهيم، المرجع السابق، ص 2114.
[11] علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 282.
[12] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 81.
[13] جمال عبد الهادي محمد مسعود، المرجع السابق، ص 152.

بمختلف مدن الشام من أجل تقديم الدعم، وبذلك أصبح عدد الجيوش التي يقودها تقدر بحوالي 1000 من الفرسان و160 ألف من المشاة فضلا عن عدد ضخم من آلات الحصار[1]، هذا من جانب استعداد الأشرف خليل ومن جانب الفرنج فقد وصلت جموع كبيرة من الفرنج إلى عكا عن طريق البحر للمساعدة في مقاومة الحصار[2] وبذلك فقد تجمع في عكا حوالي 30 إلى 40 ألف من الفرنج[3].

منهم 800 فارس و14 ألف من المشاة والبقية من عامة الحجاج[4] ولم تكد قوات الأشرف خليل تصل إلى عكا حتى بدأت في مهاجمة وقصف أسوار المدينة وضربها بالمجانيق[5] وقد دام حصار عكا مدة 47 يوما[6] أو 44 يوما[7] ودخلوا المدينة في يوم الجمعة 17 جمادى الأولى 690هـ/ أي 16 ماي 1291م[8] ودب بذلك الخوف والرعب في قلوب الفرنج بعد تحرير مدينة عكا[9] وبذلك استعاد المسلمون هذه هذه المدينة رغم محاولات "هنري الثاني" ملك قبرص في690هـ/4 ماي 1291م الذي حاول عقد صلح مع الأشرف خليل الذي رفض ذلك[10] وبذلك فقد سقطت عكا في أيدي المماليك وكان من الصدف ان استعاد الأشرف خليل مدينة عكا بعد قرن كامل، وفي نفس اليوم والشهر على سقوطها بيد الفرنج وذلك في يوم 17 جمادى الثانية690هـ/1291م[11] وقد قتل من الفرنج عدد كبير، وغنم المسلمون الأمتعة والرقيق والبضائع شيئا كثيرا جدا[12] ثم جمع الأشرف خليل الأسرى النصارى والفرنج وأرسلهم إلى دمشق ثم منها إلى مصر، وبعدها حررهم وخيرهم بين الذهاب إلى بيروت وبين الرحيل إلى قبرص فتوجهوا جميعا إلى قبرص[13].

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 933.

[2] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق ص 249.

[3] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 81.

[4] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 934.

[5] محمد فؤاد إبراهيم، المرجع السابق، ص 2114.

[6] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 769.

[7] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص 249.

[8] مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 93.

[9] المقريزي، تقي الدين أحمد، المصدر السابق، ص 769.

[10] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 934.

[11] سوزي حمود، المرجع السابق، ص 82.

[12] جمال عبد الهادي محمد مسعود، المرجع السابق، ص 154.

[13] المرجع السابق، ص 82.

وبسقوط عكا سقطت بقية المعاقل والمدن الصليبية، دون مقاومة مثل: صور واستولوا على صيدا ورموا قلعتها واحتلوها وهدموها[1].

وبذلك لم يبق للصليبيين في الشام سوى أنطرسوس التي سقطت في3 أغسطس 690هـ/1291م، والثانية في 14 أغسطس عام690هـ/1291م، وبذلك تكامل المماليك فتح جميع البلاد الساحلية في الشام[2]. ولكن بالرغم من ذلك فإن السماح لهم بالتوجه إلى قبرص جعل الفرصة ملائمة من أجل شن غارات سريعة على شواطئ الشام ومصر واتخذتها قوات الفرنج مقرا للقرصنة، وذلك منذ مطلع القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر وقد حاولت الدولة المملوكية أن تواجه هذا التحدي من جديد[3] وذلك في عهد السلطان برسباي في سنة825هـ/1422م، حيث صمم هذا الأخير على القضاء على شوكة الصليبيين فأرسل حملة للاستكشاف أغرقت عددا من سفن الفرنج وعادت بعد ذلك محملة بالأسرى، ثم أرسل حملة أخرى ودارت معركة في قبرص قتل فيها خلق من الصليبيين ثم أرسل حملة أخرى سنة828هـ/1425م، وكانت هي الحملة القاضية واستطاعت جيوش برسباي أن تلحق هزيمة ساحقة بالفرنج، ودخل المسلمون نيقوسيا فصلوا الجمعة في كنيستها وأصبحت قبرص حملة من بلاط السلطان[4].

وبذلك يمكن القول بأن المماليك قد تمكنوا من إخراج الخطر الصليبي من منطقة بلاد الشام ومصر وذلك بعد جهود بذلها سلاطين هذه المماليك.

خاتمة:

من أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها في هذا البحث، ما يلي:

- كان لسقوط الدولة الأيوبية، فرصة لظهور كيان سياسي جديد تمثل في دولة المماليك التي حملت على عاتقها مواجهة الخطر الصليبي الذي ظل محدقا بالبلاد الإسلامية خاصة مصر والشام.
- حمل السلاطين على عاتقهم الدفاع عن راية الإسلام خاصة في بداية عهد دولة المماليك نظرا لقوة سلاطينها والحنكة العسكرية التي كانوا يمتلكونها من خلال مشاركتهم في المعارك.
- بالرغم من أن المماليك ليسوا سكان مصر وبلاد الشام الأصلين إلا أنهم لم يتوانوا في مواجهة الخطر الصليبي المحدق بالمنطقة وهذا إن دل فإنه يدل على مدى تأثرهم بالمبادئ الإسلامية التي تربوا ونشؤوا عليها منذ الصغر.

[1] محمد فؤاد إبراهيم، المرجع السابق، ص 2115.
[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 936.
[3] مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 258.
[4] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص ص 494- 495.

- كما يقول ابن خلدون أن حياة الدول كحياة الإنسان تمر بثلاث مراحل هي مرحلة النشأة ومرحلة القوة ومرحلة الانهيار، نفس الشيء فدولة المماليك في مراحلها الأخيرة عاشت أوضاعا مزرية تمثلت في الصراع حول السلطة بين سلاطينها، وتفشي الرشوة والبيروقراطية ومظاهر الشعوذة مما أدى إلى انهيارها وسقوطها على يد العثمانيين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد حطيط، قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري (648-923هـ/1250-1517م)، ط1، الفرات للنشر والتوزيع، 2003.
2. الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية، لبنان، 1967.
3. جمال عبد الهادي محمد مسعود، القضية الفلسطينية، ج1، دار الوفاء، الجزائر، 1977.
4. حسان حلاق، عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1999.
5. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، دار الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1987.
6. راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج1، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، مصر، 2005.
7. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج2، ط7، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1997.
8. سوزي حمود، الفاطميون والزنكيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 2010.
9. عبد العزيز سالم، سحر عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2003.
10. عبد العظيم رمضان، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1993.
11. علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، مكتبة الأعيان، مصر، 1999.
12. علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط1، الدار الإسلامية للنشر والتوزيع، 1993.
13. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، دار الشروق، مصر، 1994.
14. قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2001.

15. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1990.
16. محمد فؤاد إبراهيم، موسوعة المعرفة، مج13، شركة إنماء للنشر والتوزيع، 1985.
17. مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر المملوكي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.
18. مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.
19. المقريزي تقي الدين أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تح: محمد مصطفى زيادة، ، مصر، 1957.
20. وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، تر: محمود عابدين، سليم حسن، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 1995.